توصية الإسلام بتربية البنات والاعتناء بهن

لقد جاء الإسلام إلى الدنيا والمرأة بصفة عامة في وضع مُهين ، لا شأن لها ولا وزن ولا قيمة ، وعلى سبيل المثال ، فقد كانت المرأة في مجتمعات اليونان القديمة تُعامل معاملة الرقيق ، ومما يُؤثَر عن فيلسوف اليونان الشهير أرسطو قوله : « إن الطبيعة لم تزود المرأة بأي استعداد عقلي يُعتَد به » فلا غرابة عندهم أن يعتبروا المرأة سلعة تباع وتشترى ، محرومة من الميراث ، زوجها هو ملكها والمتصرف في شؤونها والقائم عليها والمتسلط على أمورها ، ولم يكن وضع المرأة عند الرومان بأحسن حالاً من أختها عند اليونان ، فقد حرموها أيضاً من الميراث ، بل هي مملوكة عندهم للأب ثم للزوج ، وهي عندهم مكبلة الحرية مقيدة ؛ لأنهم ينتقصون من عقلها وفكرها ..

وعند اليهود لم تكن المرأة تتمتع بحق يذكر ، وكان يحق للأب أن يبيع ابنته وهي قاصر ، واعتبروا البنت في مرتبة الخدم [١] .

وعند الهنود كان الرجل وصيًا على المرأة طوال حياتها ولا تستطيع المرأة التصرف في أي شأن من شؤونها بغير إذنه .

وكانت الفرس تعتبر المرأة نجسةً خصوصًا فترة الحيض والنفاس فكانوا يضعونها حال الحيض أو النفاس في مكان منعزل ويذهب إليها الخدم بالطعام والشراب ، ولا يلمس يدها خشية النجاسة .

---

(١) عن « المرأة بين البيت والمجتمع » أ / البهي الخولي .

وعند الصينيين كانت المرأة ممتهنة مسلوبة الحقوق والتصرف ، وكانوا يسمونها بعد الزواج (فو) وهي تعني (خضوع) ، فلم يعطوها حق التصرف في المال ، ولا في غيره ، بل هي نفسها كانوا يعتبرونها مملوكة للرجل ، هكذا كان وضع المرأة خارج جزيرة العرب قبل الإسلام [١] .

أما المرأة في المجتمع العربي القبلي في شبه الجزيرة ، وإن كانت أحسن حالاً من أخواتها في المجتمعات الأخرى ، إلا أن الظلم قد طالها هي الأخرى ، فكثير من العرب كانوا يكرهون ولادة البنات وتسود وجوههم حين يبشرون بالأنثى .

قال الله تعالى عن هؤلاء :

﴿ وإذا بُشِّرَ أحدُهُم بالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وهُوَ كظيمٌ (٥٨) يتوارىٰ من القومِ من سوءِ ما بُشِّرَ به أيُمْسِكُهُ علىٰ هُونٍ أمْ يدُسُّهُ في التُّرابِ ألا ساءَ ما يحكُمُونَ (٥٩) ﴾ [النحل : ٥٨ ، ٥٩] .

فقد انتشرت عادة وأد البنات – وهن أحياء صغار – بين كثير من العرب، خشية الفقر والعار ، كما لم تكن المرأة تُورَّثُ عندهم ، بل كان البعض يعتبرها ميراثًا ، فحين يموت زوجها يأتي الابن ليرث زوجة أبيه كما يرث أباه ، ثم يتزوجها أو يمنعها من الزواج من معين حسب ما يعود عليه بالنفع المادي ، وعن ذلك يتحدث القرآن الكريم .. قال الله تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا لا يحلُّ لكُم أن ترثُوا النِّساءَ كرْهًا ولا تعْضُلُوهُنَّ لتذْهبُوا ببعْضِ ما آتيْتمُوهُنَّ ﴾ .

[النساء : ١٩] .

---

(١) وفي القرن السادس الميلادي يسجل التاريخ اجتماعًا لعلماء المسيحية في ذلك الوقت في مجمع (حاكون) ليتدارسوا في موضوع « هل المرأة جسم وروح كالرجل ؟!» ثم قرروا أنها خالية من الروح الناجية من النار إلا مريم البتول .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها ، وإن شاءوا زوجوها ، وإن شاءوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ﴾ »[١] .

جاء الإسلام ليرد إلى المرأة كرامتها ، ويمنحها حقوقها كاملة غير منقوصة ، جاء ليقرر على لسان نبي الرحمة محمد ﷺ أن : « النساء شقائق الرجال »[٢] فجعل المرأة شقيقة الرجل ، وهي معه في الإنسانية سواء ، وفي الحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحل : ٩٧] وأعطاها حقوقها المدنية ومنها حق الميراث ، قال تعالى : ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ﴾ [النساء : ٧] ، وإن نصيبها من الميراث على النصف من نصيب شقيقها وذلك لاختلاف وظيفة كل منهما في الحياة واختلاف التكاليف الملقاة على عاتق كل من الرجل والمرأة ، فالمرأة مكفولة في معظم أحوالها، والرجل هو المعني دائمًا بالإنفاق على نفسه وعلى غيره ، وأعطى الإسلام المرأة حق اختيار الزوج وعدم إجبارها على الزواج من لا ترغب فيه .

وفي الحديث : « لا تُنكحُ الأيمُ حتى تُستأمر ، ولا البكر حتى تُستأذن »[٣] ، كما أوصى الإسلام الرجال بصفة عامة بحسن معاملة نسائهم

---

(١) قول ابن عباس رواه البخاري وغيره ، وانظر تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٦) ط دار الفكر – بيروت – ١٤٠١هـ – ١٩٨١ م .

(٢) رواه أحمد والترمذي وأبو داود ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٣٣) .

(٣) رواه الجماعة .

وأمهاتهم وبناتهم ، فاعتنى الإسلام بالمرأة بنتًا وزوجة وأُمًّا ، والأدلة على ذلك تجل عن الحصر.

توصية الإسلام بتربية البنت :

في الإسلام بصفة عامة توصية بحسن تربية الأبناء ، والأبناء يشملون الذكر والأنثى ، ومع ذلك فقد خص الإسلام البنات بوصايا خاصة مما يدل على اهتمام الإسلام بتربية البنات اهتمامًا عظيمًا ، وذلك لخطورة إهمال تربية البنات ، **لأسباب أهمها :**

[١] أن المرأة بصفة عامة فتنة بالنسبة للرجل إذا لم يتم مراعاة حدود الله تعالى ، وإذا لم يتم تربيتها التربية الصالحة ، وفي الحديث : « **ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء** »(١) .

وعنه ﷺ أيضًا قوله : « **اتقوا الدنيا ، واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت النساء** »(٢) .

[٢] إن المرأة مخلوق ضعيف وتتحكم فيه العاطفة بدرجة كبيرة ومن ثم فمن السهولة بمكان خداعها من قبل الرجل بوسيلة أو بأخرى فوجب تحصينها بالتربية الإيمانية واتباع أوامر الشرع الحنيف .

[٣] أن المرأة نصف المجتمع ، وهي تقوم بواجب تربية الأبناء ، وهي معنية بهذا الموضوع أكثر من الرجل بحكم وظيفتها الأساسية ، فإحسان تربيتها يعني إحسان تربية جيل كامل ، ومجتمع شامل ، كما أن

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

(٢) رواه مسلم بهذا اللفظ (كتاب الرقاق) ، ورواه ابن ماجه وأحمد وابن حبان بلفظ : « .. **فاتقوا الدنيا واتقوا النساء** .. » .

الاهتمام بتربيتها يعني الاهتمام بتربية الأطفال والناشئة بصفة خاصة باعتبارها أمًا لهؤلاء ، وأقرب إليهم من الأب في مهد طفولتهم ، وهؤلاء الأطفال هم عدة المستقبل ، وصدق أمير الشعراء حين قال :

الأم مدرسةٌ إذا أعددتها أعددتَ شعبًا طيب الأعراقِ
من لي بتربية النساء فإنها في الشرق علةُ ذلك الإخفاقِ

[٤] أن المرأة وبحكم تغلب عاطفتها معْطاءةٌ ، ولديها استعداد كبير للتضحية فإن أحسن تربيتها على قضية معينة أخلصت لها وجاهدت في سبيل تحقيقها ، والتاريخ يحفل بمواقف نسائية خالدة في التضحية والفداء، وقد تكون أفضل من مواقف كثير من الرجال ، ومما يدل على ذلك قول رسول الله ﷺ عن نسيبة بنت كعب : « **لَمَقَامُ نُسَيبة بنت كعب اليوم خيرٌ من مقام فلان وفلان** »[1] ، وذلك لبلائها وتضحيتها وفداءها الرسول ﷺ بنفسها يوم أحد ، حين انكشف جمع من المسلمين عنه ﷺ ، وفرَّ منهم من فرَّ من المعركة ، هذه هي المرأة التي كرمها الإسلام، وأوصى بالاعتناء بتربيتها وحسن رعايتها؛ لأنها قد تصبح – إن صحت تربيتها – خيراً من فلان وفلان ، يعني خيراً من رجال آخرين .

ومما يدل على توصية الإسلام بحسن تربية الأبناء بصفة عامة والبنات بصفة خاصة ما يلي :

١ ـ حث المؤمنين على تربية أبنائهم وأهليهم ووقايتهم من النار عن طريق تعليمهم وتربيتهم على الإيمان والتقوى ، قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا**

(١) فتح الباري (٥١/٦) .

ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ لاَّ يعْصُونَ اللَّه ما أمرهُمْ ويفْعلُونَ ما يؤْمرُونَ ﴾ .

[التحريم : ٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وأْمُرْ أهْلَكَ بالصَّلوٰة واصْطَبرْ لا نَسْئَلُكَ رزْقًا نَّحنُ نَرْزُقُكَ والعٰقبةُ للتَّقوىٰ ﴾[طه : ١٣٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وإذْ قال لُقْمانُ لابْنه وهُو يعظُهُ يا بُنيَّ لا تُشْرك باللَّه إنَّ الشّرْكَ لظُلْمٌ عظيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] .

وقوله تعالى : ﴿ ووَصَّىٰ بهَا إبْراهيمُ بَنيه ويَعْقُوبُ يَا بَنيَّ إنَّ اللَّه اصْطفىٰ لكُمُ الدّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتُم مُّسْلمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢]

وقال ﷺ : « كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته ، الإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته ، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيَّتها ، والرجلُ راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته ، .. وكلكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته »(١) .

وقال ﷺ : « إن اللهَ سائلٌ كل راعٍ عمن استرعاه ، حَفِظَ ذلك أم ضيَّعَه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته »(٢) .

وقال ﷺ : « كُلّ مولودٍ يُولدُ على الفطرة ، فأبواه يُهودانه أو يُنصرانه أو يُمجسانه»(٣) .

وقال ﷺ : « ما نَحَلَ(٤) والدٌ ولدًا من نحْلٍ أفضل من أدبٍ حسنٍ»(٥) .

---

(١) الحديث متفق عليه .

(٢) رواه النسائي في « الكبرى » ، وابن حبان ، والطبراني في « الأوسط » ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع (١٧٧٥) .

(٣) متفق عليه .

(٤) نحل : أعطى .

(٥) رواه الترمذي ، والحاكم وصحح إسناده ، وأحمد ، والبيهقي في الكبرى ، وفي الشعب ، والطبراني في الكبير .

وقال ﷺ :« مُروا أبنائكم بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع » (١)

٢ - حث الإسلام علي إحسان تربية البنات بصفة خاصة :

قال رسول الله ﷺ :« أيما رجل كانت عنده وليدة (يعني أمة) ، فعلمها وأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » (٢)

هذا بالنسبة لمن أدَّب وعلَّم (أمة) تعليمًا وأدبًا حسنًا ، فكيف بمن يُعلم ويُؤدب ابنته ؟

بالتأكيد سوف يكون له الأجر الأكبر والثواب الأعظم ، ويظهر هذا واضحًا جليًا في قوله ﷺ :

« من عال جاريتين (بنتين) حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه » (٣) .

يعني رفيقه في الجنة ، وإعالة الجاريتين لا تعني فقط إطعامهما وكسوتهما ، إنما تعني أيضًا التربية والتأديب والتعليم .

قال ﷺ :« ما من مسلم له بنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه - أو صحبهما - إلا أدخلتاه الجنة » (٤) .

وهناك أحاديث أخرى لم تشدد على هذا العدد ، فعن رسول الله ﷺ أنه

---

(١) رواه أبو داود والبيهقي في الكبرى ، والطبراني في الأوسط ، ورواه أحمد والحاكم بمثله .
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه ابن ماجة وابن حبان والحاكم وصحح إسناده، وأحمد بزيادة ، والبيهقي في الشعب .

obeikandl.com

قال : « **من كان له ثلاث بنات ، فصبر على لأوائهن ، وضرائهن ، وسرائهن ، أدخله الله الجنة برحمته إياهن** » قال رجل : واثنتان يا رسول الله ؟ قال : « **واثنتان** » ، قال رجل : وواحدة ؟ قال : « **وواحدة** »[١] .

فهذه الآثار وغيرها تخص البنات بصفة خاصة على الرغم من أن الاهتمام والرعاية بهن يشمله الأمر العام بتربية الأبناء والتوصية بهم التي أوردناها في البند السابق ، لكن تخصيص البنات هنا برعاية زائدة إنما يدل على أهمية هذا الأمر وخطورته وكذا على عظم أجره ومثوبته .

إن البنت تحتاج إلى معاملة خاصة ، وإلى حنان وعطف ربما أكثر من الولد ؛ لأنها حساسة بدرجة كبيرة ، كما أنها تحتاج إلى صبر جميل ، وتحتاج إلى رعاية أكثر ، واهتمام أشد ؛ لأن وقوعها في الخطأ قد يكون سريعًا ، فهي هدف لأعوان الشيطان في كل مكان ، لذلك فإن حمايتها من الوقوع في الخطأ واجبة ، وقد تكون مقلقة ، وتحتاج لمن يرافقها في السفر ونحوه ، فتربية البنت إذن أشد من تربية الولد ، ومن هنا كان أجر كفالتها والعناية بها ليس أقلَّ من الجنة في رفقة الحبيب محمد ﷺ .

(١) رواه أحمد والحاكم وصحح إسناده ، والبيهقي في الشعب .

أخطاء شائعة فى تربية البنات

إعطاء البنت حرية زائدة :

إن كثيراً من انحراف البنات كان سبباً أساسياً فيه إعطاء البنت حرية زائدة ، بدعوى الثقة في البنت وفي تربيتها ، بمعنى عدم سؤالها عن أماكن ذهابها وإيابها ، وترك الحبل لها على الغارب ، وعدم تحديد موعد مبكر لرجوعها إلى المنزل عند خروجها لأمرها ، لقد أدت تلك الحرية الخاطئة بكثير من البنات إلى الانحراف ، حيث أن البنت لا تقدر مثل هذا الأمر ، كما أنها في سن لا تستطيع فيه التمييز بين الصالح والطالح ، وبين الغث[١] والسمين ، إن كثيراً من بنات الثانوي والجامعة وقعن في شراك شباب ومراهقين لا يقدرون العواقب ولا يهتدون سبيلاً ، فهناك من تزوجت عرفياً ، وحدث لها ما حدث ، ثم تخلي عنها من خدعها بذلك الزواج ، وتركها تواجه المصير الأسود ، ومنهن من أقدمت على الانتحار ، ومن هؤلاء البنات من سقطت في الرذيلة نتيجة لارتياد أماكن مشبوهة ، ثم وجدن أنفسهن بعد ذلك في سلسلة من الأخطاء المدمرة ، ومنهن من سقطن في مستنقع الإدمان ، ومنهن من وقع في شرك عبادة الشيطان .

فإن « هذه العينة التي وجد الشيطان بين شبابها عبيداً وأتباعاً يدينون له بالولاء ، أما لماذا يعبدونه ، فإن جميع الشواهد تشير إلى عياب الرقابة الأسرية .. حيث كان مسموحاً للبنات بالسهر حتى الفجر خارج المنزل .. »[٢] .

---

(١) **الغث** : شديد الهزال .

(٢) « تحديات من القرن العشرين » أ / فتحي يكن - مؤسسة الرسالة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م .

وماذا ينتظر الوالدان من البنت حين يسمحن لها بالتغيب عن المنزل حتى الفجر ؟ هؤلاء الآباء وأولئك الأمهات هم سبب الفساد ، ويجب أن يُحاسبوا على إهمالهم الجسيم لأولادهم ولبناتهم بصفة خاصة .

عدم تعويد البنت على الحجاب من سن مبكرة :

من الأخطاء التي يقع فيها بعض أولياء الأمور ، أنهم ينتظرون حتى تبلغ الفتاة ، ثم يأمرونها بالحجاب عند هذا السن ، وقبلها كانت تلبس ما يحلو لها من ملابس رقيقة وشفافة ، أو قصيرة ، أو ضيقة ، ونحو ذلك ، وليس من المعقول ، في ظل هذا العصر المملوء بالفتن والماديات ، وقلة الروحانيات ، وتفسخ الأخلاق ، والاستهانة بالقيم ، ليس من المعقول في مثل هذه الظروف ، أن نجعل البنت تجاري الموضة ، ثم نأمرها بالحجاب مرةً واحدة ، عندما تبلغ المحيض ، هذا ليس من الفطنة ، ولا من الفهم السليم ، **وذلك لعدة أسباب :**

[١] تعود الفتاة على طريقة لبس معينة ، يجعلها من الصعب أن تغير هذه الطريقة ، وتنصرف عنها ، والعادة كما نعلم طبيعة ثانية ، وتؤثر في سلوك الإنسان بدرجة كبيرة .

[٢] أمر البنت بلبس الحجاب في هذه السن بدون تعود من قبل ، وبدون مقدمات سليمة ، يجعل البنت تعاند وتركب رأسها ، خصوصاً أن هذه السن ، وكما أسلفنا ، سن التمرد .

[٣] قد يكون للبنت صُويحبات ، يلبسن ملابس غير محتشمة ، ولا يلتزمن بستر العورة ولبس الحجاب ، وهؤلاء البنات لا شك سيكونون عامل جذبٍ كبير للفتاة نحو عدم الالتزام بالحجاب الشرعي ؛ لأن تأثير الأصدقاء في هذا السن على المراهق كبير جداً ويفوق تأثير الوالدين .

لهذه الأسباب ولغيرها يكون من الصعوبة بمكان - وخصوصًا في هذه الظروف التي نعيشها - أن تلتزم الفتاة الحجاب الشرعي بعد أن تكون قد تعودت على لبس الملابس القصيرة ، أو الضيقة ، أو الرقيقة الشفافة ، أو غيرها مما لا تستر الجسد .

نقول ذلك للأب وللأم الذين يعرفان فضيلة الحجاب وأهميته للفتاة ، فهو فرض منصوص عليه في كتاب الله تعالى ، وفي سنة رسوله ﷺ ، وليس هو من قبيل العادات كما يظن بعض الناس ، يقول الله تعالى :

﴿ وقُل لِّلمؤمنات يغْضُضْن من أبْصارهنَّ ويحْفظْن فروجهنَّ ولا يبْدين زينتهنَّ إلاَّ ما ظهر منها وليْضْربْن بخُمرهنَّ على جيوبهنَّ ولا يبْدين زينتهنَّ إلا لبُعولتهنَّ أو آبائهنَّ أو آباء بُعولتهنَّ أو أبْنائهنَّ أو أبْناء بُعولتهنَّ أو إخْوانهنَّ أو بني إخْوانهنَّ أو بَني أخَواتهنَّ أوْ نسَائهنَّ أو ما ملكَتْ أيْمانُهنَّ أو التَّابعين غَيْر أُولي الإرْبة من الرِّجال أو الطِّفْل الَّذين لَمْ يَظْهَروا على عَوْرَات النِّساء ولا يَضْربْن بأرْجُلهنَّ ليُعْلم ما يُخْفين من زينَتهنَّ وتُوبُوا إلى اللَّه جميعًا أيُّها المُؤْمنُون لعلَّكُمْ تُفْلحُون (٣١) ﴾ [النور : ٣١] .

فالمرأة مأمورة من قبل ربها سبحانه وتعالى بستر عورتها عن الأجانب ، وعدم التبرج ، ذلك لأن تبرج المرأة يسبب الأذى للآخرين ، فيستثير شهوات الرجال ، مما يغري بنشر الفاحشة في المجتمع ، وخصوصًا في وسط الشباب المراهق الذي طالت مراهقته في هذا الزمن .

ولقد حذر رسول الله ﷺ المرأة من لباس الكاسيات العاريات ، والذي ينتشر اليوم على نطاق واسع - وللأسف - بين الفتيات والسيدات على حد سواء ، حذر النبي ﷺ المرأة من هذا اللباس ، فقال ﷺ :« صنفان من أهل النار لم أرهما ، قومٌ معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناسَ ، ونساءٌ كاسياتٌ

عارياتٌ ، مميلاتٌ مائلاتٌ ، رُؤوسُهن كأسنمة البُخت المائلة ، لا يدخلن الجنةَ ، ولا يجدن رِيحها ، وإنَّ ريحَها لَيُوجدُ من مسيرة كذا وكذا »[1] .

فعلى الوالدين أن يدركا أن التزام ابنتهما بلبس الحجاب فرض عين عليها، وعليهما أن يسعيا لهذا الأمر ، وأن يسلكا السبيل الحسن من أجل التزامها به ، وخير سبيل لذلك هو تعويدها على الاحتشام منذ سن مبكرة ، وعدم لبس الملابس المستهترة حتى قبل البلوغ ، ويبدأ تعويد الفتاة على الحجاب من سن العاشرة تقريبًا ، ويمكن أن يبدأ قبل ذلك بقليل ، وقد يختلف الأمر من فتاة لأخرى ، حسب طبيعة الجسم .

والأمر لا يقتصر على اللباس فحسب ، فليس الموضوع موضوع مظاهر ، كلا ، فإن امرأة ترتدي الحجاب وتسلك سلوك المتبرجات ، وتخالف مبادئ الالتزام ، والسلوك الملتزم بأوامر الشرع ، لهي امرأة لا تختلف كثيراً عن المتبرجات ، فالالتزام بالحجاب سلوك ومنهج قبل أن يكون مظهراً خارجيًا ، فالمرأة الملتزمة ، والفتاة المحجبة لا ترفع صوتها بضحكات مثيرة بين الأجانب ، والفتاة الملتزمة لا تجلس مع الشباب تضاحكهم ، وتلامسهم ، وتختلط بهم اختلاطًا مستهتراً ، كما نرى بين بعض الشباب والفتيات في الجامعات .إننا جميعًا يجب أن نعلِّم الفتاة ومنذ سن مبكرة أنه لا يجوز لها أن تخلع حجاب ربها في مكان غير بيتها ، حفاظًا على سمعتها ، وعلى شرفها .

كما أنه لا يجوز لها أن تتحدث مع أقاربها من غير المحارم حديثًا فيه لين في القول ، أو ميوعة ، أو نحو ذلك مما يثير الشباب ، ﴿ **فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ** ﴾[الأحزاب : ٣٢] .

---

(١) رواه مسلم .

وكذلك ينبغي أن لا نعودها أن تخرج من بيتها مستعطرة ، ونعلمها أن ذلك من المحرمات ، وفي الحديث الشريف : « **أيما امرأة خرجت وهي مستعطرة ، فمرت على قوم ليجدوا من ريحها ، فهي كذا وكذا** - يعني زانية - »[١] .

(١) رواه الترمذي وقال : حسن صحيح ، وأبو داود وابن حبان والحاكم وصحح إسناده ، وأحمد والنسائي في الكبرى ، والبيهقي في الكبرى والشعب .

obeikandl.com

إضفاء هالة من السرية والكتمان بخصوص مسائل مهمة بالنسبة للفتاة

يخطئ بعض الناس حين يظن أن إخفاء ما تحتاجه الفتاة من أمور تعلق بالجنس أمر مطلوب ، أو هو من قبيل المحافظة على الفتاة ، وهذا الاعتقاد خطأ من الأساس ؛ لأن البنت سوف تواجهها تغيرات فسيولوجية ونفسية ، هذه التغيرات التي تواجه البنات في مرحلة المراهقة إن لم يكن لدى البنت علمٌ مُسبقٌ بها فسوف يحدث لها مشاكل نفسية كبيرة ، كالخجل والانطواء ، والخوف المرضي ، وغير ذلك ، وحين لا تجد البنت من أهلها من يجيب عن أسئلتها الحائرة لما يعتريها من تغيرات ، فسوف تبحث عن الإجابة عما يدور بخلدها في مكان آخر ، وقد تجد إجابات خاطئة أو ضالة مُضلة ، وقد تتجه البنت إلى الانحراف نتيجة الجهل ، وعدم الوعي الكامل بظروفها الجديدة .

« إن إحاطة الأمور الجنسية بهالة من السرية والكتمان والتحريم تحرم الفتاة من معرفة كثير من الحقائق العلمية التي يمكن أن تعرفها من أمها بدلاً من معرفتها من مصادر أخرى ، ومن الملحوظ في هذه المرحلة (المقصود مرحلة المراهقة) أن الفتاة يعتريها الخجل والحياء ، وتحاول إخفاء أنها نمت فيها عن أنظار المحيطين ، وينتج عن تعليقاتهم غير الواعية على مظاهر النمو هذه وعلى التغييرات الجديدة شعور الفتاة بالحياء والخجل ، وميلها للانطواء أو الانسحاب ، لذلك لا ينبغي أن ينظر الكبار لهذه التغيرات على أنها أمور طبيعية وعادية »[١] .

---

(١) عن كتاب « سيكولوجيا المراهق المسلم المعاصر » ، نقلاً عن « إسلام ويب » .

ومن هنا فقد بات واجبًا على الوالدين وبخاصة الأم أن تعلّم ابنتها وتوضح لها ما هي مُقدِمةٌ عليه من تغييرات في مرحلة المراهقة ، وينبغي أن يبدأ هذا التعليم من وقت مبكر وبالتدرج ، وأن يعطى حسب الحاجة ، وحسب درجة فهم ووعي البنت ، وذلك لأن الفتاة يعتريها القلق في هذه الفترة لتزايد معدل النمو لديها فهي « قبل العاشرة كانت تزداد طولاً كل عام بمقدار أربعة سنتيمترات ، ووزنها قبل العاشرة كان يزيد بمقدار كيلو جرا ونصف كل عام ، أما بعد العاشرة فوزنها يزيد بمقدار سبعة كيلو جرامات سنويًا ، والصدر يبدو في النمو ، وكذلك شعر الإبط ، وبعد عامين من النمو السريع تكتسب الفتاة الشكل الأنثوي الكامل ... وعلى الرغم من أن غالبية الفتيات يبدأن رحلة الاستعداد للبلوغ في العاشرة من العمر ، إلا أن هناك عدداً قليلاً منهن يبدأن تلك الرحلة في التاسعة من العمر ، وعدداً أقل من القليل يبدأن الرحلة في الثامنة من العمر ، وعدداً أقل من ذلك يبدأن في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة ، فلا يتم البلوغ إلا في الخامسة عشرة .

والملاحظة لرحلة الاستعداد للبلوغ أكدت أن الأكثر طولاً من الأولاد والبنات يبدؤون تلك الرحلة مبكرًا ، وأن الأقصر طولاً يتأخرون قليلاً .

وأنماط البلوغ المبكر أو المتأخر تختلف – كما قلت – من عائلة إلى أخرى أو من مجتمع إلى آخر ، ونادرًا ما يكون ذلك بسبب شيء غير طبيعي ، ولكن قلق تلك المرحلة يظهر بوضوح ؛ لأن أغلب الشباب يكره أن يكون مختلفًا عن الأصدقاء والزملاء ، فمن الجارح لفتاة في الثامنة أن تظهر في المدرسة ، وقد برز صدرها قليلاً ، أو طالت قامتها بسرعة خصوصًا إذا لم تكن تدرك سعادة أن تكبر الفتاة ، وتصل إلى النضج ، وهي لا تدرك ذلك بطبيعة الحال لصغر سنها ، وقد يختلف الأمر بالنسبة لفتاة كانت تتطلع للنمو والنضج

بسرعة ، وقد يزيد طول الفتاة في تلك المرحلة بسرعة ، الأمر الذي يضاعف قلقها من أن تكون أطول قامة من كل زميلاتها ، أما إذا تأخر البلوغ لفترة ، وكانت أقصر من أي زميلة لها في المدرسة ، فهي تغرق في القلق ؛ لأنها تخشى أن تظل طفلة إلى الأبد .

وهذا الخوف ضرب من الوهم في غالبية الحالات ؛ لأنها ستنضج من بعد ذلك ، وتصل إلى الحجم المناسب لطبيعتها » [١] .

وجهل الآباء والأمهات بتلك المسائل المهمة التي تتعلق بالفتاة ، أو حيائهم في تعليم الفتاة ، وإعطائها المعلومات المناسبة لسنها ، هذا الحياء من قبل الأم لا مبرر له ، بل هو ضد مصلحة الفتاة ، خصوصاً في هذا العصر الذي تعددت فيه وسائل المعلومات ، وأصبح الشباب اليوم يعرف أضعاف ما كان يعرفه الشباب من عقد قد مضى ، وخير للفتاة أن تحصل على المعلومات الصحيحة ، بدلاً من أن تبحث عنها في مصادر قد تكون آسنةً [٢] ، وحتى تحمي الفتاة من الاضطرابات الإنفعالية ، والتي قد تحدث لها في مرحلة المراهقة ، فينبغي أن تصاحب الأم الفتاة ، فتجعلها مثل الصديقة ، ولا تبني جسوراً من الحواجز بينها وبين ابنتها ، حتى لا يصيب البنت الخجل ، أو الإحراج من سؤال الأم عن أي شيء يَعنُّ لها ، أو تتخوف من حدوثه .

ونؤكد على عدم التوسع في المعلومات المعطاة للفتاة عن الجنس في مرحلة المراهقة ، بل إعطاءها ما يناسب تلك المرحلة من معلومات ، عن البلوغ الجنسي ، والدورة الشهرية ، وطبيعة العلاقة بينها وبين الجنس الآخر ، مع عدم التخويف أو الترهيب من التعامل مع الرجل ؛ لأن بعض الأمهات يخوفن البنات

---

(١) « فن الحياة مع المراهق » د / سبوك – ترجمة منير عامر .
(٢) آسنة : عفنة .

من التعامل مع الرجل بطريقة مبالغ فيها ، فينشأ عند الفتاة ، نوع من الخوف والفزع من الرجل ، فتتصوره كأنه وحش مفترس ، وهذا الشعور يسبب لها المتاعب في بداية زواجها ، وقد تستمر .

إن الفتاة يجب أن تعرف حدود الحلال والحرام في العلاقة مع الجنس الآخر ، مع عدم تصويره بصورة مخوفة ، أو الترهيب منه ، فمن الطبيعي أن التعامل بين الجنسين سيستمر ما استمرت الحياة .

وتنتشر اليوم في وسائل الإعلام دعوات من بعض العلمانيين [١] ، تدعو إلى ضرورة تعليم النشء أمور الجنس ، وتدريس ذلك في المدارس وهذا شيء خطير جداً ؛ لأن معنى أن ندرس للشباب والفتيات الجنس باعتباره مادةً منفصلة، وهم في مرحلة عمرية خطيرة كمرحلة المراهقة ، فإن معنى هذا أننا نثير فيهم الغرائز ، وهذا أمر في غاية الخطورة ، إذ يسبب إثارة الشباب والفتيات جنسيًا ، ويعمل على نشر الرذيلة ، والفاحشة ، خصوصًا مع تأخر سن الزواج في ظل الظروف المادية الطاحنة ، وغلو المهور ، وكثرة أعباء وتكاليف الزواج ، وماذا يستفيد الشباب والفتيات من معرفة أمور الجنس معرفة دقيقة ، وهم بعيدون عن الزواج ، وبينهم وبينه أمد بعيد ؟!.

يجب أن يعطى الشباب معلومات تناسب مرحلتهم العمرية ، وتكون لازمة لتلك المرحلة ، وتعطى بطريقة نظيفة بعيداً عن التبذل والإثارة ، وبعيداً عن الانحلال الخلقي أو الدعوة إليه

وفي الإشارة في كثير من الأحيان غنى عن التصريح ، وفي الكناية أحياناً دلالة على المعنى من غير تصريح أيضًا ، ولقد تحدث القرآن الكريم في كثير من

---

(١) **العلمانية** : دعوة خبيثة للتحلل من الدين بزعم التحضر والتمدن ومسايرة العصر .

آياته عن كثير من أمور الجنس من غير أن يستثير الغرائز ، واستخدم الكناية ، والتصريح أحياناً بأجمل الألفاظ وأبعدها عن الفحش ، فالله تعالى ينهى عن الفحشاء والمنكر .

ولنقرأ قول الله تعالى :

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[البقرة : ١٨٧] .

ولننظر إلى قوله تعالى : ﴿ الرَّفَثُ ﴾ كناية عن (الجماع) ، وإلى إضفاء الجو العاطفي والروحي على العلاقة الزوجية بقوله تعالى ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ .

إن الآيات الكريمة توضح الأمور ، وتضع النقط فوق الحروف ، بخصوص أدق التفاصيل في العلاقة الزوجية ، ومع ذلك فلا نجد فيها ما يخدش الحياء ، ولا نجد إلا أجمل عبارة .

إن إعطاء الفتاة معلومات عن طبيعة المرحلة التي تمر بها ، لا يعني التوسع في إعطائها معلومات مفصلة عن العملية الجنسية ، أو عن مقدماتها ؛ لأن هذا كما قلنا يثير الغرائز ، ولا حاجة للفتاة به في هذا الوقت ، أما حينما تقدم الفتاة على الزواج ، فيجب تزويدها بما ينبغي عليها فعله ، وما يجب أن تكون فيه الفتاة مع زوجها ، وعندئذ يمكن أن تشرح لها الأم ما ينبغي شرحه في مثل هذا الموطن .

وأمر مهم في هذا الموقف ننبه عليه ، وهو أن هناك خطأ تقع فيه بعض الأمهات ، حين يتحدثن مع بناتهن قبل الزواج عن صعوبة فض غشاء البكارة

من قبل الزوج ، وأن هذه العملية تكون مؤلمة جداً ..

هذا ما يحدث من بعض الأمهات ، وهذا شيء غير صحيح على إطلاقه ، لكن تلك الأم نتيجة الجهل تخبر الفتاة بهذا الكلام ، والذي يكون من شأنه خوف الفتاة من زوجها ليلة الزفاف ، وتحدث المشاكل ..

وقد يكون كلام الأم ناتج عن خبرة مؤلمة مرت بها نتيجة جهل الأب بكيفية فض الغشاء ، لكن لا ينبغي أن تنقل الأم هذه الخبرة الخاطئة لابنتها ، فتسبب لها مشكلة من أول يوم في زواجها .

obeikandl.com